الشّعر العربيّ في موريتانيا والسّنغَال
نصوصٌ متقاطعة

ولد متالي لمرابط أحمد محمدو
جامعة حائل، المملكة العربية السعودية

1. إضاءة

نتغيّا في هذه المقاربة الوقوف على نماذج من نقاط تواصل الثقافة العربية والثقافة الزنجية على مستوى النص الشعري، مركزين على الإنتاج الشعري العربي في موريتانيا والسّينغال، وهو ما سيسهم، في تقديرنا، في رصد نقاط الالتقاء والتّشابك، وجدلية التّأثير والتأثّر التي طبعت علاقة الأدب العربي بأدب الغرب الإفريقي المسلم منذ ارتباطهما بسياق ديني وتاريخي وثقافي ممتد على مدى عصور غابرة.

2. حيز الغرب الإفريقي

2. 1. دخول الإسلام

دخل الإسلام بشكل عام إلى أغلب دول إفريقيا الغربية منذ القديم، بل إن بعض الباحثين رأى أن هذا الدخول جاء، بشكل مبكّر من تاريخ الفتوحات الإسلامية، وأن "ثقافات إفريقية الغربية قد انطبعت بطابع الإسلام منذ القرن الرابع الهجري (10م)... وإن لم يتسع المدَدُ الثّقافي العربي-الإسلامي في المنطقة إلا في القرون الأخيرة".[1] وكان لدول الغرب الإفريقي المتاخمة للحدود العربية (خصوصا السنغال ومالي التي كانت تسمى في المراجع العربية القديمة: السودان الغربي) النصيب الأوفر من دخول الإسلام بشكل مبكّر، فضلا عن ترسّخ تعاليمه في مجتمعات هذه الدول إلى اليوم بفعل احتكاكهم المستمر بالعلماء والدّعاة العرب من كافة الأمصار، وبُعدهم عن مراكز الوثنيّة في أدْغَال إفريقيا القديمة.

1- الخليل النحوي/ بلاد شنقيط: المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987، ص 261.

وقد كانت **السينغال**؛[1] من أكثر الدول الإفريقية التي انتشر فيها الإسلام حتي شمل عموم البلاد، وذلك لقربها من دولة **موريتانيا العربية الإسلامية (أو بلاد شنقيط كما كانت تسمى قديما)**، ووفود كثير من العلماء والدعاة الموريتانيين إليها، واستقرارهم بها، بل أكثر من ذلك، فإن كثيرا من هؤلاء العلماء امتزجوا في بنية المجتمع وصاروا جزءًا مركزيًا منه. وأنشأ كثيرٌ منهم مدارسَ علمية كبيرة ظلت منهلا ثرّا يرتوي منه طلابُ العلم المتشوقون إلى الإسلام، وتعاليمه السمحة، ولغته العربية التي نزل بها القرآنُ الكَريم[2].

في هذا السياق، يذكر الباحث الموريتاني **الخليل النحوي** أنه منذ القرن التاسع عشر الميلادي (13هـ) بدأ الإسلام ينتشر في عاصمة السنغال (**داكار**) وذلك بعد اعتناق الأمير مادنياما دين Mandiama Diene الإسلامَ بفعل جهود تلاميذ العلامة الموريتاني (**الشيخ سيديا الكبير**). وقد لاحظ الفرنسيون المستعمرون للسنغال أن البيضان العرب ينتشرون بشكل كبير في المدن والقرى السينغالية، ويشرفون على محاضر لتدريس العلوم الإسلامية والعربية، وهو ما كان مصدر إزعاج للمستعمر وأسهم بشكل كبير في إرباك خططه التبشيرية التغريبيّة في المنطقة. لذا يؤكد المستشرق بول مارتي "أن جميع التحولات التي حدثت في السينغال خلال القرن التاسع عشر، مثل **ثورة الإمام عبد القادر** سنة 1775، وقيام **دولة الأئمة الإسلامية في فوتا** على أنقاض دولة السيراتيك Siratiks التكرور، واعتناق **البراك** (ملوك والو) للإسلام، وغيرهم...، كل هذه التّحولات الدينية والسياسية هي ثمرة عمل بعثات الدعاة التي كان العلماء الشناقطة يرسلونها إلى المنطقة، وهي كذلك ثمرة غزوات بني حسان البيضان بنسبة ما"[3].

1_ **دولة السينغال**: يحدها من الشمال النهر الذي أعطاها اسمه، وقد تكونت منذ القديم من ممالك عدة مستقلة يتبع بعضها للآخر بدرجات متفاوتة، أو خاضعة لقوى خارجية، وكانت ملحقة خاصة في نهاية العصور الوسطى **بإمبراطورية مالي**، وكانت أهم ممالكها حتى القرن التاسع عشر تحمل تسميات الـ (**جولون**)، والـ (**والو**)، والـ (**كايور**). انظر: عبد الله واد/ حياة من أجل إفريقيا، حوارات مع جان مارك كالفليش وجيل دولافون، نقله من الفرنسية: محمد مخلوف، دار نشر ميشيل لافون، 2008، ص 10.

2- راجع: الحاج مصطفى آن/ الإسلام والثقافة في الجمهورية السنغالية، دكار، 1987، فقد ذكر فيه أن كل مدارس السنغال وغامبيا أسسها خريجو المحضرة الموريتانية.

3- الخليل النحوي/ بلاد شنقيط: المنارة والرباط، م. س، ص 261.

ويدلل بول مارتي على قوة ارتباط الموريتانيين بالسنغاليين، على أن تسمية (**السينغال**) التي شاعت علَمًا على هذا البلد هي من إطلاقهم، حيث يقول متحدثا على لسان السياسية الاستعمارية الفرنسية في السينغال: "حتى كلمة السينغال التي نعيّن بها البلد والتي أخذها عنا السينغاليون فقد فرضها علينا البيضان، **فسنغال** أو **سنغان** اسم عربي يطلقه البيضان على هذه البلاد، أما الاسم الولفي للمنطقة فهو (**كايور وجولوف**)"[1].

وبعد أن ترسخ الإسلام في إفريقيا، أنجبت القارة السّمراء أجيالاً من العلماء الذين خدموا الدين الإسلامي، وحاربوا البدعة والوثنية، ووقفوا شامخين في وجه المدّ الاستعماري التّنصيري، وهو ما كان محط تقدير العلماء المسلمين في كل بقاع العالم. يقول الشاعر الموريتاني المعاصر **بن عمر لي** مستحضرا آثار العلماء السينغاليين في حمل الرسالة الإسلامية الخالدة، ورفع راية دعوة الحق في ربوع إفريقيا، ومحفزا الجيل السينغالي الجديد للحفاظ تاريخ الأجداد العامر بالصفحات المشرقة[2]:

حلّــق بأجنِحَــةِ الإيمــانِ واســتَبِقِ ... واستنشِــقِ الهــدْيَ مــن تاريخِنَــا العَبِــقِ
واقْــرَأْ مســيرةَ آبــاءٍ مَضَــوا سَــلَفًا ... واحــصِ المواقــفَ واحفَظْهَــا علــى النّسَــقِ
هَــلْ تــذكرون رجــالاً كــان دَيْــدَنُهُمْ ... ذكــرَ الإلــهِ ونشــرَ العِلْــمِ والخُلُــقِ؟
هَــلْ تــذكرونَ الأُلــى ضــحّوا لأجلِكُــمُ ... كــيْ تَسْــعَدُوا تَنْعَمُــوا تَنْجُــو مِــن الخنــقِ؟
قومًــا تَلَقّــوا عُلُــومَ الحَــقّ خَالِصَــةً ... قومًــا بنــوا دولــةَ الإســلامِ فــي الأُفُــقِ
فــاذكرْ مــن القــومِ عبــدَ الله صــاحِبَنا ... وارو المــآثرَ عــن إيمانِــه الوَثِــقِ
واذكــرْ مواقِفَــهُ فــي كــلّ مُعْضِــلَةٍ ... منهــا تحدّيــه للمُسْــتَعْمِرِ الحَنِــقِ

1- الخليل النحوي/ بلاد شنقيط: المنارة والرباط، م. س، ص 261.

2- بن عمر لي/ ديوان الواحة، منشورات اتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين، ط1، 2010، ص 62، والقصيدة ألقيت في ملتقى الحاج إبراهيم انياس بالعاصمة السينغالية داكار، سنة 1980.

2. 2. انتشار العربية

إن انتشار اللغة العربية في إفريقيا منذ القديم هو نتاج طبيعي لانتشار الإسلام فيها، إذ ثبت تاريخيا أن العربية "كانت تحل مع الإسلام حيثما حل واستقر"[1]. وذلك لارتباطها الجذري به، حيث نزل بها القرآن الكريم، وبها دونت الأحاديث النبوية والآثار الإسلامية، وكتب بها أغلب علماء الإسلام منذ القديم وحتى اليوم. وقد "لعبت الثقافة العربية الإسلامية دورا هاما في إفريقيا جنوب الصحراء، وفي إفريقيا الغربية بصفة خاصة، حيث حرص معظم رواد الحركات الإصلاحية على تعلم اللغة العربية ليتسنى لهم الاطلاع على مختلف العلوم الإسلامية، مثل: علوم الفقه وأصول الدين وباقي فروع الشريعة الإسلامية".[2] ومن هنا كان الشغف الواضح لشعوب إفريقيا السمراء بتعلم اللغة العربية رغم الصعوبات الجمة التي تواجههم بهذا الصدد[3]. ويؤكد بعض الباحثين الذين تولوا مهمات علمية بإفريقيا" حرص الأفارقة على تعلم اللغة العربية وإتقانها نطقا وكتابة، والتعمق في آدابها وثقافتها، [كما] أنه يسهل عليهم تعلمها واستعمالها والانسجام معها أكثر من أية لغة أخرى، وربما يعود ذلك لعوامل وأسباب نفسية ودينية واجتماعية بحكم انتمائهم التاريخي إلى مجتمع إسلامي متأصل، والحنين إلى استرجاع ماضيهم الثقافي والحضاري الذي يعتزون به أيما اعتزاز، وإحساسهم بأنهم غرباء عن الحضارة الغربية المسيطرة بقيمها المادية والإلحادية البعيدة كل البعد عن تقاليدهم الموروثة"[4].

1- عبد العلي الودغيري/ اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالغرب الإفريقي وملامح من التأثير المغربي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، سلسة: بحوث ودراسات (51)، ط1، 2011، ص 10.

2- بهيجة الشاذلي/ من أعلام الثقافة الإسلامية بإفريقيا: محمد بلّو نموذجا، مجلة المناهل، صادرة عن كتابة الدولة المكلفة بالثقافة، المملكة المغربية، العدد 56، السنة الثانية والعشرون، جمادى الأولى 1418هـ/ شتنبر 1997، ص 387.

3- في مقدمة هذه الصعوبات ندرة الهيئات الثقافية في كثير من الدول الإفريقية، وعدم اهتمام كثير من الشعوب الإسلامية والعربية بتقديم الدعم للأخوة الأفارقة في هذا السياق، رغم وجود بعض الجهود المهمة من بعض الدول العربية التي تذكر فتشكر.

4- عبد العلي الودغيري/ اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالغرب الإفريقي، م. س، ص 8.

أما فيما يتصل بدولة السينغال بشكل خاص؛ فإن هناك ثلاث لغات رسمية هي: **الفلانية، الماندينكية، الولفية**، وهذه الأخيرة هي أهم هذه اللغات؛ إذ "تكتسي أهميتها الخاصة من المكانة المتميزة للإسلام [في هذا البلد]، فضلا عن احتكاكها الخاص باللغة العربية بحكم الجوار مع موريتانيا. وتوجد في موريتانيا ذاتها مجموعة من **الولوف** الناطقين بهذه اللغة"[1]. ويعتبر "الولوف من أعرق الشعوب الإفريقية في الإسلام، وأعظمهم إسهاما في الثقافة العربية الإسلامية"[2]. أما بخصوص نشأة هذه اللغة، فيرى بعض الباحثين أنها "نشأت قبل قرون في عهد أمير قوي، يدعى **انداديان انجاي**، تقول هذه الرواية أنه ينحدر من سلالة أمير المرابطين أبي بكر بن عامر اللمتوني من زوجة له إفريقية، وأن هذا الأمير (انداديان) سعى لتوحيد لهجات إفريقية كثيرة في لغة واحدة، ذات جذور عربية أيضا، فكانت **الولفية**، وكان نحو نصفها من مفردات ذات أصل عربي، إلا أن تحريفا كبيرا أدرك جلها"[3].

ويرى الباحث السنغالي ساليو كانجي أن اللغة العربية تركت في اللغات السنغالية الولوفية والبولارية (لغة الهالبولار: التكارير والفلان)[4] أثرا بينا، أجمله في عدة نقاط منها[5]:

- تثبيت البنية النحوية للغتين وتهذيبها؛
- إغناء اللغتين بالمفردات وزيادة دقتها في التعبير؛
- تنمية طاقة اللغتين البلاغية، باستعمال المجاز اللغوي، والتنوع في طرائق تركيب الكلام؛

1- الخليل النحوي/ اللغة العربية في إفريقيا، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتبة تنسيق التعريب، الرباط، العدد 36، 1992، ص 13.

2- الخليل النحوي/ اللغة العربية في إفريقيا، م. س، ص 13.

3- الخليل النحوي/ بلاد شنقيط: المنارة والرباط، م. س، ص 262.

4- يقول الخليل النحوي في هذا السياق: "ينتسب الناطقون بالهالبولار (التكارير والفلان) المنتشرون حول ضفاف **نهر السينغال** ومنها إلى **نيجيريا** إلى أصول عربية، ومنهم مجموعة بشرية ذات تاريخ عريق وإسهام جليل في نشر الإسلام والثقافة العربية، وألوانهم فاتحة تميل إلى السمرة، يدرك من يراهم أن دمهم مزيج من دماء الأفارقة السود والعرب البيضان". انظر: الخليل النحوي/ بلاد شنقيط: المنارة والرباط، م. س، ص 263.

5- الخليل النحوي/ اللغة العربية في إفريقيا، م. س، ص13.

- وضع سلسلة من المصطلحات النحوية والقانونية والفلسفية والكلامية والغيبيّة... إلخ، التي استقرت في تينك اللغتين.

فيما رصد بعض الباحثين معجما ضخما في اللغة **الولفية** يرجع إلى أصول عربية واضحة، يمكن أن نستعرض منه مثلا كلمات من قبيل: أنَ (أين؟)، بطاقل (بطاقة)، براده (برّاد)، بغل، جالاب (جلباب)، جافران (زعفران)، جمن (زمن)، در (درع)، درم (درهم)، ناغه (ناقة)، وغيرها كثير[1]. بل إن بعض اللهجات الإفريقية المتداولة في السينغال "اقترضت من العربية عبارات مركبة. ومن تلك العبارات ما يكاد يكون مشتركا بين كل الشعوب الإسلامية مستخدما في لغات التخاطب اليومية: مثل: **بسم الله، السلام عليكم...**"[2] ومن خلال كلمات عربية متداولة في المعجم السينغالي مثل مفردات الزمن (**أسماء أيام الأسبوع، وقت، زمان، ساعة...**)، وبما أن السينغال دولة مسلمة "فمن الطبيعي أن تكون كل أوجل الألفاظ المتعلقة بشعائر الإسلام ومفاهيمه الخالصة مستمدة من العربية. وهذا باب واسع يكفي وحده لإبراز متانة القرابة اللغوية"[3].

وعلى المستوى الخطي الكتابي للغات الإفريقية، يلاحظ افتتان الأفارقة بالحرف العربي وهندسته الجمالية المعتمدة في الخط المغربي والخط المحضري الموريتاني[4]، وعملوا جاهدين على تدوين لغاتهم بهذين الخطين، وهو ما يتجلى في كثير من المخطوطات والوثائق السينغالية.

ويمكن القول إنه بفضل الجهود الكبيرة التي قام بها الموريتانيون في تدريس اللغة العربية، تمكنت دولة السينغال حديثا من الحد من هيمنة اللغة الفرنسية والانجراف اللا محدود وراء تيار

1- انظر عن تلك المفردات بالتفصيل: الخليل النحوي/ اللغة العربية في إفريقيا، م. س، ص 18. نقلا عن: محمد مختار سيسي/ تأثير اللغة العربية في إفريقيا، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتبة تنسيق التعريب، الرباط، المجلد 13، 1976.

2- الخليل النحوي/ اللغة العربية في إفريقيا، م. س، ص 18.

3- الخليل النحوي/ اللغة العربية في إفريقيا، م. س، ص 17- 18.

4- هو خط تراثي جميل، يتأثر كثيرا في أصوله بالخط الأندلسي المغربي ، مع بعض الفروق التي تميزه في موريتانيا، وقد نشأ في أحضان المحاضر العلمية الموريتانية التقليدية، وفي وزارة التهذيب السنغالية إدارة تدعى (إدارة ترقية الحرف القرآني) يقصدون اللغة العربية وقد اجترحوا هذه التسمية تفاديا للحساسية الموجودة لدى بعض السينغاليين تجاه اللغة العربية.

الفرانكفونية؛ ذلك التيار الذي شهد أوج ازدهاره في مطلع القرن العشرين الميلادي مع المد الاستعماري الفرنسي الذي اجتاح الغرب الإفريقي المسلم، وبفضل الروح الدينية الإسلامية التي يتمتع بها السنغاليون امتنع كثير من الأسر في عهد المستعمر من إدخال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية، وبذا حافظت العربية على مساحة مهمة في الحيز الجغرافي السنغالي، وكتب بها بعض كبار العلماء والمفكرين في هذه الدولة المسلمة. وكان من أبرز العلماء السينغاليين الذين بذلوا جهودا كبيرة في نشر اللغة العربية في السنغال العلامة **الحاج إبراهيم انياس**[1] وقد استعان في هذه هذه المهمة بكثير من العلماء والأساتذة الموريتانيين، يقول الباحث الخليل النحوي: "اتخذ الشيخ إبراهيم من العلماء الشناقطة أئمة في مسجده الجامع، ومدرسين للقرآن وغيره من علوم الدين واللغة، وأرسل إليهم أبناءه وأبناء مدينته للتعلم، ومدينتُه من المناطق السينغالية التي تعربت تعربا شبه كامل فلا تكاد تجد فيها فردا (طفلا أو شيخا أو امرأة) إلا وهو يتحدث إما بالعربية الفصحى –وهي الأغلب– أو اللهجة الحسّانيّة (عامية أهل شنقيط)"[2].

هذا الشأن الريادي الذي قام الموريتانيون في نشر اللغة العربية في إفريقيا عموما والسنغال خصوصا، هو ما نبه إليه الباحث والشاعر اللبناني محمد يوسف مقلد (1912–1965) الذي زار السنغال وشاهد عن قرب جهود الموريتانيين في هذا المضمار، فكتب قصيدة يثني فيها عليهم منوها بجهودهم الجبّارة بهذا الخصوص، يقول[3]:

للضّـــــادِ فـــي إفريقيّـــا رَايَـــةٌ	خَفّاقَـــــــةٌ، زَفْزَافَـــــــةٌ، عَالِيّـــــــه
يَرْفَعُهَـــا العُـــرْبُ بنُـــو عمّنَـــا البِيْـــ	ـــــضَانُ[4] أهـــلُ الهِمّـــةِ السّـــامِيّه

1– الشيخ إبراهيم بن الحاج عبد الله انياس (توفي 1395هـ/ 1975): أحد أبرز العلماء السينغاليين في القرن العشرين وأكثرهم شهرة في العالم الإسلامي، وقد تتلمذ في مدارسه جم غفير من كافة أنحاء إفريقيا، وهو أول زنجي سنغالي يؤم الناس يوم الجمعة في الأزهر –في عهد عبد الناصر– تقديرا له.

2– الخليل النحوي/ بلاد شنقيط: المنارة والرباط، م. س، ص 262.

3_ محمد يوسف مقلد/ شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، ط1، 1962، ص 27.

4– أرض البيضان: هي إحدى التسميات التي عرفت بها موريتانيا قديما.

هُـــمْ ناشِـــرُوها، هُـــمْ أسَـــاتِيذُهَا هـــم حِصْـــنُها.. هـــم دِرعُهـــا الواقِيّـــه

وفي العصر الحديث تفاعل كثير من الشعراء الموريتانيين مع شعراء الأدب العربي في السنغال، وقاموا بمهمات لتدريس العربية في المدارس السنغالية، فضلا عن حضورهم لكثير من الندوات العلمية والفكرية والأدبية التي تنظم دوريا في السينغال. كان من أبرز الشعراء الموريتانيين المواكبين للحياة الأدبية والفكرية بالسينغال الشاعر **الخليل النحوي** الذي يرتبط بالزاوية العلمية والصوفية التي أسسها العالم **إبراهيم أنياس الكولخي**، ومنهم أيضا الشاعر **بن عمر لي** الذي حضر كثيرا من ندوات الفكر والثقافة والأدب بالسنغال، وأحد أبرز دعاة نشر العربية فيها، ويكفي بها الخصوص أن نورد جزءا من قصيدته (**الوداع**) التي يرثي بها الشاعر السينغالي **الإمام محمد الأمين آج** الذي توفي أيام تأسيس (**نادي الأدب العربي بالسنغال**) الذي كان من المفترض أن يكون في مقدمة مؤسسيه:[1]

عَـــزاء أيّهـــا النّـــادي الحَبِيـــبُ عَـــزاء أيّهـــا الحِـــبّ القريـــبُ
عَـــزَاء حينمـــا نـــادى المنـــادي فليـــت أميننـــا حـــيّ يجيـــبُ
يجيـــبُ بلهجـــةِ الفُصـــحى يحيّـــي مبـــادرةً يباركُهـــا الرّقيـــبُ

3. موريتانيا والسنغال/ التواصل التاريخي

تتمتع موريتانيا والسينغال بتاريخ عريق من التواصل العلمي والثقافي والسياسي والتجاري، فهما دولتان مسلمتان حدوديتان يفصل بينهما نهر صغير يسمى (**نهر السينغال**). وقد ظل العلماء الموريتانيون يفدون إلى السينغال لنشر الدعوة الإسلامية والعلوم الشرعية والعربية، كما تدفق إلى السينغال قديما كثير من البدو الموريتانيين الرحل للتجارة والرعي باعتبار أنها منطقة تتمتع بمناطق خصبة لرعي المواشي، وفي المقابل وفد كثير من السينغاليين إلى موريتانيا لطلب العلم على شيوخ المحاضر التقليدية فيها، فضلا عن ارتباط كثير منهم بزوايا علمية وصوفية موريتانية شهيرة.

1- بن عمر لي/ ديوان الواحة، م. س، ص 85- 86.

ويمكن أن نشير، بإيجاز، إلى جانب من العوامل التي وطدت علاقة البلدين منذ تاريخهما الغابر في ما يلي:

- الإشعاع الثقافي والعلمي الذي قادته موريتانيا بالغرب الإفريقي منذ عهد المرابطين، والذي أسفر عن دخول كثير من الدول الإفريقية في الإسلام وانتشار الدعوة الإسلامية في ربوع القارة السمراء، وفي مقدمتها دولة السينغال التي أسلمت بالكامل.
- ارتباط الطلبة السينغاليين منذ دخول الإسلام قديما وإلى اليوم بالمحاضر العلمية الموريتانية التي كثيرا ما نهلوا من معينها، وتلقوا فيها بغيتهم في الدين والعلم والأدب.
- التاريخ السياسي للبلدين المحكوم بعلاقات الجوار والصداقة منذ القديم، فضلا عن خضوعهما معا لسيطرة المستعمر الفرنسي في النصف الأول من القرن العشرين، واندراجهما تحت حكم وال فرنسي واحد، بل إن الإدارة الاستعمارية المسؤولة عن موريتانيا اتخذت لها موقعا رسميّا هو مدينة (سينلوي) السنغالية (الآن)، وذلك لحساسية الموريتانيين من وجود النصارى على أرضهم، وما سبّبه ذلك من متاعب للمستعمر الفرنسي.
- العلاقات التجارية التي تمثلت في هجرة كثير من السينغاليين للعمل بموريتانيا، وانشغال كثير من الموريتانيين بالتجارة في المدن السينغالية، خصوصا في فترة منتصف القرن العشرين الميلادي، حيث سيطر التجار العرب (من لبنان وسوريا وموريتانيا) على التجارة في السينغال، فضلا عن العلاقات التجارية القائمة بين الدولتين منذ القديم حين كانت المدن الموريتانية من أهم مراكز التجارة عبر الصحراء القائمة بين الدول العربية وإفريقيا.
- وتفرع عن هذا العامل الأخير استقرار كثير من الأسر الموريتانية العريقة بالسنغال منذ عقود، وارتباطهم فيها بسياقات اجتماعية، فضلا عن مساهمة هذه الأسر في تأسيس بعض المراكز العلمية الإسلامية العربية الكبرى بالسنغال، وحملهم لرسالة الإشعاع العلمي الموريتاني في إفريقيا.

3. 1. التواصل العلمي الثقافي

توطد التواصل الموريتاني السينغالي عبر عدة بوابات مركزية من أهمها التواصل الثقافي والروحي، حيث ظلت المحاضر الموريتانية مأوى لطلاب العلم من كافة إفريقيا ومن السنغال بوجه

خاص، وتخرج من هذه المحاضر كثير من العلماء السينغاليين أخذوا إجازاتهم في القرآن الكريم والفقه والحديث والعربية وغيرها من الحقول المعرفية الإسلامية.

وفي المقابل ارتبط كثير من المريدين والمتصوفين الموريتانيين بالزوايا الصوفية في السينغال، خصوصا الزاوية الشهيرة التي أسسها العلامة **الحاج ابراهيم انياس الكولخي** في مدينة **(كولخ)** وزاوية **الشيخ أحمدُ بنبا** (ت 1346هـ/ 1927م) في مدينة **(طوبى)**، وقد رصدنا مدونة ضخمة تؤشر على هذا الجانب المهم في العلاقات الثقافية بين الجارين المسلمَين. يقول الشاعر الموريتاني الشيخان بن الطلب راصدا تجهزّه لرحلة علمية إلى شيخه إبراهيم إنياس الكولخي السنغالي[1]:

وَدِّعِ الأَهْـــلَ وَأَســـلُ عـــنهم وشَـــمِّرْ ... لا تُثَبِّطْـــكَ الأَهْـــلُ والأَمْـــوالُ
ولتَـــزُمَّ الجِمَـــالَ آنَ عَلَيْهـــا ... لِلِقَـــا الشَّـــيخِ أن تُشَـــدَّ الرِّحَـــالُ
عـــن قليـــل تبلـــغ الركـــب أقصـــى ... أمـــل فيـــه تنتهـــي الآمـــال
حضـــرة الشـــيخ ذي الخـــلال الـــذي قـــد ... حليـــت باحتفالهـــا (**ســـنغال**)

وهناك مراسلات شعرية كثيرة بين العلماء الموريتانيين والسنغاليين، من ذلك مثلا قصيدة الشاعر الشيخان بن الطلب التي وجهها إلى أستاذه الشيخ إبراهيم انياس، والتي يقول فيها:[2]

ألا اســـق أومـــق أمســـى دائـــم الومـــق ... مـــن كـــأس صـــافية منهـــا ســـواه ســـقي
بحـــر الميـــاه كفـــى منـــه الشـــراب، ومـــن ... بحـــر المعـــارف لا يكفـــي ســـوى الغـــرق
فـــاعطف علـــى قلـــب أمســـى اليـــوم مرتتجـــا ... بـــالفتح عطـــف بيـــان منـــك أو نســـق

فرد عليه أستاذه ناصحا وموجها وداعيا إلى الاستعانة بالله تعالى، حيث يقول من قصيدة طويلة[1]:

1- الشيخان/ الديوان، جمع: محمد سعيد بن محمد عبد الرحيم، نشر مؤسسة منير للنشر والتوزيع، انواكشوط - موريتانيا، 1985، ص 49. راجع: ديوان شعراء الزوايا البياضين في مدح الشيخ أحمد بامبا، المغرب، ط1، 2007، وفي هذا الكتاب 3400 بيتا، وبنبا: معناها الأضاة؛ وهي مكان كان يدرس إلى جانبه أستاذه.

2- الشيخان/ الديوان، م. س، ص 47.

فجـــدّ صـــدقا وبـــالمولى الكـــريم ثـــق ... يـــا مـــن لـــه كـــل أصـــل فـــي العـــلا عـــرق
كـــذاك مـــن جـــالس الجـــذْمَاء خـــيّ يجـــذّ ... مُ.. والجلـــيس لأهـــل الخيـــر غيـــر شـــقي
لكنمـــا خيـــر بـــاب أنـــت داخلـــه ... ذكـــر الإلـــه بحـــال الفـــرد والحلـــق

وهناك مادة أدبية ثرية كتبها شعراء موريتانيون في رثاء علماء الإسلام في السينغال، ويمكن أن نورد في هذا السياق قصيدة الشاعر المعاصر أبو محمد بن محمد الحسن بن أحمد الخديم في رثاء العلامة السينغالي الحاج عبد الله، وهي بعنوان (**صبرا بني الشيخ**)[2]:

صـــبر البريـــة داعـــي المـــوت قارعـــه ... قرعـــا ويصـــر مـــن منهـــا يصـــارعه
فبينمـــا المـــرء مســـرور ومغتـــبط ... إذا بـــه أوحشـــت يومـــا مرابعـــه
أفّ لـــذي الـــدار دار صـــفوها كـــدر ... وأمنهـــا غـــرر تخشـــى وقائعـــه
لـــو يخلـــد المـــرء فيهـــا أنـــه كرمـــت ... أفعالـــه وزكـــت حقـــا طبائعـــه
لأخلـــد الحـــاج عبـــد الله قـــدوتنا ... شـــيخ الشـــيوخ الرضـــى الميمـــون طالعـــه
مـــن كـــان للـــدين يرعـــاه ويكلـــؤه ... وكـــان للعلـــم إذ جفـــت منابعـــه
لـــم يســـتقد إن دعـــا داعـــي الهـــوى، وإذا ... دعـــاه داعـــي الهـــدى يومـــا يطاوعـــه
صـــبرا بنـــي الشـــيخ إن الصـــبر ديـــدنكم ... قـــدما ولـــو فقـــدت كـــلا دوافعـــه
فالحـــاج مهمـــا يغـــب عنـــا فســـمعته ... مـــا إن تغيـــب، ولا غابـــت صـــنائعه

وفي المقابل نرصد نماذج من القصائد التي تؤشر على علاقة الطلبة والباحثين السينغاليين بأساتذتهم الموريتانيين، في هذا الصدد يمكن أن نورد مقطوعة للشاعر **عامر صمب**[3] يحيي فيها

1_ الشيخان/ الديوان، م. س، ص 47- 48.

2- القصيدة منشورة بمجلة الأديب، الصادرة عن اتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين، السنة الأولى، العدد 3، ذي الحجة 1427هـ/ دجمبر 2006، ص 114.

3- **الشاعر عامر بن إبراهيم صمب** (1356- 1408هـ/ 1937- 1987م): ولد في مدينة **كِيمِيرْ** السنغالية، وقضى حياته في السنغال وفرنسا، ومات في وطنه. تولى إدارة المعهد الأساسي لإفريقيا السوداء (**إيفان**) بين عامي 1971 و1986. وجه جهده العلمي إلى اكتشاف وتجميع المخطوطات العربية الإسلامية التي أنتجها السنغاليون والأفارقة

أستاذه للغة العربية في المعهد الفرنسي المشهور بـ (**إيفان**)؛ الشاعر والمؤرخ الموريتاني **المختار بن حامد** (**1314-1414هـ/ 1886-1993م**)، حيث يقول[1]:

تـــذكّرتُ والـــذكرى تثـــير لـــذي النـــوى ... همـــومًا وفـــي الـــذكرى تهـــبّ صَبـــا الهـــوى
إلـــى سيـــدي المختـــار وهـــو ابـــن حامـــد ... ســـلامٌ زكـــيٌّ مـــن فـــؤادي لـــه الجـــوى
فمـــن مبـــلغٌ عنـــيَ بـــ «إيفـــان» بعـــده ... بـــأنّيَ لـــن أنســـى زمـــانًا لنـــا ثـــوى
وأعـــظِمْ بشيـــخٍ قـــد حـــباني بنظمـــه ... بـــ «إيفـــانَ» يومـــا غصـــنُه مـــا بـــه الصـــوى
لقـــد قـــاد فـــي بَـــرِّ القـــريض جيـــادَه ... ومـــن كـــل بحـــرٍ للـــمعاني لـــه رِوى
أمـــا ذكـــرُكم حـــبّي وأســـتاذ جيلـــه ... فســـيفٌ ولا ينـــبو، وزهـــرٌ ولا ذوى

ونستشف من قصيدة أخرى أنه مكث وقتا طويلا للدراسة والبحث في موريتانيا وعاد إلى وطنه السينغال بعد حنين شديد، وهو في هذه القصيدة يثني على العادات الموريتانية الأصيلة، وما تشهده بيئتها من ازدهار علمي وثقافي، وهو بهذا يؤشر على وفاء الأفارقة وتعلقهم بالمجتمع العربي الإسلامي، حيث يقول:

إن كنـــتُ منكـــم بعيـــدًا منـــذ آونـــةٍ ... مـــا غبـــتُ عـــن عبـــثٍ بـــل قصـــدَ عرفـــان
مهمـــا يكـــنْ فأنـــا ذا فـــي دياركـــمُ ... ديـــار حـــب وإنصـــاف وعرفـــان
أمّـــا البـــلادُ فمـــا زالـــت كشـــمس هـــدًى ... بأسخـــياءَ كـــرامٍ ثـــم شـــجعان
هـــذا هـــو الشـــعب حقًّـــا فـــي حفـــاوته ... ســـرّاً وجهـــرًا ومـــا هـــذا ببهتـــان
فلنرجعـــنَّ إلـــى مـــا قـــد لفـــظنَ بـــه ... بأننـــي عـــائدٌ مـــن (**أرض بيضـــان**)
ثـــم الصـــلاةُ علـــى المختـــار شـــافعنا ... والآلِ والصـــحب ثـــم أهـــل عرفـــان

بعامة، وكان جهده موضع تقدير المؤسسات العلمية، إذ أعد عنه بحثًا حصل به على درجة «دكتوراه الدولة»، أما مجموعة ما اكتشف ونسّق من مخطوطات فإنها تحمل اسمه في معهد (**إيفان**)، تقديرًا لعمله. له كتاب مهم بعنوان: «الأدب السنغالي العربي» - نشر في الجزائر (1978) ضمنه جزءًا من إنتاجه الشعري. انظر ترجمته في: عبد العزيز سعود البابطين وآخرون/ معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ط1، 2008، ص 729.

1- الرجع نفسه، ص 730.

وعلى المستوى الفني تؤشر هذه القصيدة على تأثر الشاعر عامر صمب بفنيات الأدب العربي الموريتاني على مستوى اللغة والأسلوب وفنيات النص، ويكفي في رصد هذا التأثير أن نقف على ظاهرة (الخواتم التراثية) التي وظفها الشاعر في نهاية نصه، وهي ظاهرة متداولة بشكل كبير في الشعر الموريتاني منذ القديم، حيث صارت تيمة فنية في غالبية قصائده. وهي تتمثل في ختم القصيدة بالتّصلية على النبي ﷺ، وعلى آله وصحبه، وقد سادت هذه الظاهرة في العصور المتأخرة للشعر العربي[1]، بيد أنها تمركزت أكثر في القصيدة التقليدية الموريتانية، وهي تأكيد واضح لرسوخ الوعي الديني في وجدان الشاعر الموريتاني، بالإضافة إلى أنها تترجم بقايا نظرة تأثيمية للفقهاء الموريتانيين القدماء تجاه الشعر[2]، تلك النظرة سادت طويلا في الثقافة الموريتانية القديمة، "وهو أمر بسيط الفهم إذا استحضرنا أن تلك الثقافة قد خلّفها المرابطون، وظل يرعاها الفقهاء الذين لم تخل نظرتهم للشعر من ريبة حسبوه معها رجسا، ينبغي ألا يكثر منه"[3]، فكأن الشاعر -بهذه التصلية- يستغفر عن ما تضمنته القصائد من لغو، مرده العبثُ بالكلمات، والسير في متاهات القصيد.

3. 2. التأثير السينغالي في الأدب الموريتاني

تأثر كثير من الأدباء العرب المعاصرين بالثقافة الإفريقية الزنجية وما تختزنه من عمق حضاري وتاريخي، وما يمور في واقع الإنسان الإفريقي من عادات وتقاليد وطقوس وميثولوجيا. وكان من أبرز الأدباء العرب الذين تأثروا بهذا المنحى كثيرا الشاعر السوداني **محمد الفيتوري**، الذي يقول بهذا الصدد: "إذا كانت أفكاري كشاعر، وقيمي كابن الحضارة العربية تحتم علي أن أرى الأمور السودانية كما يراها إنسان يعيشها، فإنني كتبت قصائدي كلها عن إفريقيا، ولم أكن أعتقد

1- وهب رومية/ الشعر والناقد: من التشكيل إلى الرؤيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة، العدد 331، سبتمبر 2006، ص 35، وقد استعرنا منه مفهوم (الخواتم التراثية) لذا وجب التنويه.

2- وهي نظرة توقف عندها الباحث الموريتاني الدكتور محمد ولد عبدي، راصدا خلفياتها الثقافية والفكرية، ومحللا مساراتها الفنية بعمق، انظر دراسته: السياق والأنساق في الثقافة الموريتانية (الشعر نموذجا)، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط1، 2009، ص 110- 112.

3- عبد الله بن السيد/ المعارضة في الشعر الموريتاني: مدخل لدراسة الاحتذاء عند شعراء القرن الثالث عشر، المعهد التربوي الوطني، ط1، 1995، ص 26.

إطلاقا أنني أقف مضادا للتيار العربي، إنما كنت أقف معه بإحساس من الحزن والمرارة، مع هذا الجرح المتوارث، جرح إفريقيا الممتد عبر سنوات بعيدة من التاريخ"[1]. في ضوء ما تقدم كتب كثير كثير من الشعراء الموريتانيين عن السينغال، واحتفوا برموزها التاريخية والثقافية، وسعوا إلى توظيف أماكنها ومحكيّاتها الشفوية الشعبية لإضفاء جمالية خاصة على النص الشعري. ويمكن أن نتوقف في هذا السياق عند جوانب من الثقافة السينغالية وبيئتها في الأدب العربي في موريتانيا، مركزين على ثلاثة مجالات:

أ- الاقتراض اللغوي الفني

ارتبط كثير من العرب بعلاقات تجارية قوية مع دولة السينغال، وفي مقدمتهم اللبنانيون والسوريون والموريتانيون، وكان الموريتانيون من أكثر الجاليات العربية في هذه الدولة؛ لتقارب البلدين وحيوية التبادل التجاري والثقافي بينهما، هذا الوجود الموريتاني المكثف بدولة السينغال أهّل كثيرا من الشعراء لمعرفة لهجاتها المحلية، وهو ما أفصح عن توجه فني سعى من خلاله بعض الشعراء إلى توظيف المعجم اللهجي السينغالي في القصيدة العربية، إمعانا في تشويق المتلقي، وكسرا للرتابة العامة المتداولة في الشعرية الموريتانية، فضلا عن ما يحيل إليه هذا التوجه من تلبية لطموح القارئ السينغالي العربي المزدوج. وتحتفظ الذاكرة الأدبية في موريتانيا بمجموعة من النصوص الشعرية الموريتانية التي احتوت معجما ضخما من اللهجات السنغالية[2]، ويمكن أن نورد نورد في هذا السياق قول الشاعر محمود بن احمذي الحسني (ت 1404هـ/1984م)[3]:

1- محمد الفيتوري/ البديل في الشعر العربي (حوار)، مجلة شؤون أدبية، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، السنة السادسة، العدد 21، صيف 1992، ص 160.

2- لا يقتصر الأمر على الشعر الفصيح فقط بل إن هناك مادة ضخمة من الأدب الشعبي الموريتاني يتخللها معجم لغوي ضخم ينتمي إلى اللهجات السينغالية. بل إن هذا المعجم تسلل إلى الكتابات والنصوص الأدبية النثرية، وخير مثال على ذلك مقامات الأديب المختار بن حامد، خصوصا **الرسالة الكولخية** (نسبة إلى مدينة كولخ السنغالية)، انظر: مقامات المختار بن حامد ورسائله الفنية، جمع وتحقيق:الحسين بن محنض، انواكشوط، د. ت، ص 101.

3- المختار بن حامد/ حياة موريتانيا، الدار العربية للكتاب، طرابلس - تونس، 1990، ص 148. والكلمات الولفية الولفية التي بين قوسين هي حوار غزلي، تتمنع فيه المحبوبة وترفض الوفاء بوعدها خوفا من النار، وهو ما يؤكد

قلـــتُ -وحيعـــل المنـــادي وابتَهَـــلْ- (جخـــم مجســـل تـــوت) قالـــت: حيّهَـــلْ
ثـــم انْثَنَـــتْ ذاتَ خِصـــامٍ وجَـــدَلْ تقـــولُ -لا أبْغِـــي بقولهـــا بَـــدَلْ-:
(دمـــار كـــل صـــفر بايـــل [م] دمـــل) فانهـــلّ دَمْـــعُ العـــينِ مَثْنَـــى وانهَمَـــلْ
قلـــتُ لهـــا وَجْـــدًا وجُـــودًا لـــم أخَـــلْ: (عمنـــات بـــو ســـخل) فقالـــت لـــي: (وَخَـــلْ)
فقلـــتُ (يـــوميم مفـــون، نيـــول) قالـــتْ، فلمـــا جئـــتُ قالـــتْ: (تَخَـــوَلْ)
قلـــتُ لهـــا (فـــيم اســـمبر) قالـــتْ: (خمـــل در، دمـــل فـــي دكنـــل ســـفي عمـــل)

ويقول الشاعر الشيخان بن الطلب موظفا كلمة من الولفية السنغالية في مطلع قطعة شعرية معبأة بالحكمة والتربية والتوجيه[1]:

الـــدهرُ ذو كَـــدَرٍ إن تَصْـــطَبِرْ كَـــدَرَهْ عمّـــا قَليـــلٍ تَجِـــدْ أكـــدَارَه (دُدُرَهْ)[2]
فـــلا تَخَـــفْ بَـــلْ ولا تَأمَـــلْ ســـوى أَمَـــلٍ فـــي الله، واتـــركْ لـــهُ مـــن أمـــرِه الخِيَـــرَه

فيما انتقلت (العدوى الفنية) ذاتها إلى الشعراء السينغاليين الذين يكتبون بالعربية، فأنتجوا مدونة شعرية عربية فصيحة تتخللها كلمات من المعجم اللهجي السينغالي الدارج، يقول الشاعر السنغالي المستعرب محمدن ابن المقداد (ت 1943م)[3]:

عمق الوعي الديني في الوجدان السينغالي الذي سبق أن تحدثنا عنه سابقا (جخم: اعطني، مجسل: أمسك، توت: قليلا، درماكل: أخاف، صفر: النار، بايل م: اتركني، دمل: اذهب، وخل: تكلم، يو: أنت، ميم: أعطني، مفون: قبلة).

1- الشيخان/ الديوان، م. س، ص 92- 93.

2- دُدُرَهْ: معناها باللهجة السنغالية: (هذا غير شيء).

3- الخليل النحوي/ اللغة العربية في إفريقيا، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتبة تنسيق التعريب، الرباط، العدد 36، 1992، ص 22. وتتضمن الأبيات كلمات من اللغة الولفية السينغالية، وقد فسرها الخليل النحوي كما يلي: سوخ: كلامك، سرخ: صدقه، رَخ: الكلام/ الحديث، لتَخْ: لماذا؟.

يـا خَـوْدُ إن غُـرابَ البَـيْنِ منـكِ (سَـوَخْ) فـزرت أطلـبُ مـن وصـلٍ لـديك (سَـرَخْ)
ضَـــننتِ بالوصـــلِ حتـــى بالحـــديثِ، ولا أرى ضـنينًا سـواكَ [قـط] ضَـنّ بـ (رَخْ)
لا تمنَعِـــي الوَصْـــلَ مِمّـــن يُســـتَهامُ بِـــهِ أتَمْنَعِـــينَ وِصَـــالَ المســـتَهامِ (لَـــتَّخْ)؟
لـــم تعلمـــي أنّ خيـــرَ النّـــاسِ أكـــرَمَهُمْ والخيـــرُ أبقَـــى وإن طـــالَ الزمـــانُ إلـــخ

ب- فتنة المكان

كان للبيئة السينغالية شأن مهم في إغناء مادة الشعر الموريتاني الحديث، حيث افتتن بها كثير من الشعراء، وحاولوا توظيفها الرمزي في إنتاجهم الشعري، وهو توظيف يتجاوز المعطى الانفعالي التلقائي إلى استدعاء ما تختزنه هذه البيئة من رموز وإحالات تاريخية، فضلا عن تسجيل العلاقات التاريخية الوثيقة بين البلدين، وثقافتها العربية الإفريقية التي يجمعها جامع عام هو الإسلام.

ومن نماذج التوظيف الرمزي المتألق للبيئة السنغالية قصيدة (**عروس الزّنج**)، للشاعر المعاصر محمد ولد الطالب، والتي يبدو من خلالها مفتونا بالعاصمة السنغالية (**داكار**)، ليرصد بروح شاعرية طقوسها الشعبية الفلكلورية، حيث يقول[1]:

1- محمد ولد الطالب/ الليل والأرصفة، منشورات اتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين، ط1، 2007، ص 26.

داكار..

ما كانت مجرد عاصمهْ

مثل العواصم غيرها

ومدينة..

فوق الخرائط جاثمه

كانت..

عروس الزنج تلبس قرطها

سمراء..

تنزل شاطئ البحر المحيط..

وتخلع الأثوابا

...

داكار..

من عبق الحقول

ومن شذى التواري

تختزن العصور.. وتسكن الأحقابا

...

داكار.

كانت.. ملهمه

أهلا وأرضا.. وامتدادات..

وكانت معلمه

داكار

كانت.. فاتنه

من حولها تمشي المواسم في المواسم طولا

يشدو المزارع..

في ظلال الفأس: (**هولا.. هولا**)
وها امتلأت سلال (**الكولا**)
والباعة الآتون من صوب القرى
حملوا إلى **داكار** ألف تجارة
دلفوا إلى الأسواق
أطفالا ترى وكهولا
وتصايحوا:
من يشتري **تعويذة** أو **فولا**
ما زلت أنعم بالمصايف
أحتسي شمسًا.. أشمّ فصولا
داكار..
كل السامرين ضيوفها
ياليلةً في صيفها..
سامرت شهبا لا تخاف أفولا
ومشيت وحدي في شوارعها
فهل داكار..
تذكر أن أجدادي إليها مرة
سلكوا الطريق الأولى
ودعت داكار الجميلة عائدا
فقطعت أودية.. عبرت سهولا
لكنني
خبأت ذكرى.. من رؤاها في دمي
ورسمت أشواقي على غيماتها
وتركت تحت (ألبا وباب) طلولا

ج- رمزية التاريخ

تجاوز بعض الشعراء الموريتانيين حدود الواقع السينغالي المعاصر زمانا ومكانا، واتجهوا إلى توظيف التاريخ السينغالي من بوابات رمزية وشعرية معمقة، مستحضرين وقائع هذا التاريخ وتحولاته الكبرى وإحالاته المحفورة في الوجدان الجمعي. ففي قصيدة للشاعر بن عمر لي تحت عنوان (رحلة الضياع) نرى أنه سعى إلى التأشير، من بوابة الشعر، على تاريخ العبودية الأسود في الغرب الإفريقي حين كانت السفن تشحن بأبناء القارة السمراء لتعبيدهم في الغرب، يقول هذا الشاعر في أحد مقاطع القصيدة:

(قُرى)[1] ... أين أبناؤنا؟

وأين الوصية؟

وأين القِرى؟

أرى في عيونك نجل سلول

فماذا دهاك؟

4. موريتانيا: الإسلام، والعروبة، وإفريقيا

إن جمهورية موريتانيا الإسلامية هي بوابة إفريقيا السمراء والباب الخلفي للوطن العربي، وقد أدركت جيدا الشأن التاريخي الذي تقوم به في هذا الموقع الجغرافي، فكان علماؤها وأدباؤها على مر التاريخ سفراء الإسلام واللغة العربية في إفريقيا الغربية، إلا أن هذا الأمر لم يجعلها تنفصم في أي وقت عن محيطها العربي الإسلامي، وقد ظلت روح الإسلام والعروبة محفورة في وجدانها العميق، يقول الشاعر اسماعيل بن محمد يحظيه (ولد عام 1945 وما زال حيا) في قصيدة بعنوان (الكلاءة والظفر)[2]:

1- قرى (Gore): جزيرة قرب داكار في المحيط الأطلسي كانت قديما من أشهر أسواق النخاسة لتهجير العبيد الزنوج إلى العالم الغربي.

2- محمد الحسن ولد محمد المصطفى ومحمد ولد عبد الحي/ مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين، الكويت، 2001، ج5، (مختارات شعرية موريتانية)، ص 416، كما أن القصيدة نشرت أولا في مجلة الهلال في عددها الأول اليتيم 1975، وهي صادرة عن إدارة الشؤون الثقافية التابعة لرئاسة الجمهورية.

يـــا موريتـــان لـــكِ الكـــلاءة والظفـــر ... فـــابقي إلـــى جنـــب العروبـــة لا مفـــرْ
فيهـــا لشـــعبك بيـــت عـــز شـــامخ ... نعـــم المقـــام بـــه ونعـــم المســـتقر
شـــعب يحـــن إلـــى الجميـــل ويكتســـي ... حلـــل الســـماحة لا يبـــالي مـــن هجـــر
وتـــرى وتعـــرف فيـــه مـــن أســـلافه الـــ ... ـــغر الأعـــزة مـــن كنانـــة أو مضـــر
كرمـــا، حيـــا، وحســـن ضـــيافة ... وشـــجاعة، ترمـــي وتقـــذف بالشـــرر
فتخالـــه فـــي عهـــدهم لكنـــه ... يـــدعو إلـــى الحســـنى ويـــؤمن بالقـــدر
شـــعبٌ يغـــار لدينـــه ولعرضـــه ... بحماســـة تنفـــي الهـــوان فـــلا تـــذر
شـــعب دعتـــه مـــن المحـــيط إلـــى الخليـــ ... ـــج أواصـــرُ القربـــى فلبـــى واعتمـــر
يـــا ســـاكني بطـــن الجزيـــرة.. ســـاكني ... مهـــدِ الحضـــارة والديانـــة والعبـــر
حيـــاكم شـــعبٌ نـــأى، لكنـــه ... يـــدنو ويقـــرب فـــي المآســـي والبُشـــر
تلـــك الأصـــالة لا نريـــد لنـــا بهـــا ... بـــدلا، ولا ترضـــى ســـوانا فـــي البشـــر
الضّـــادُ يشـــهد وهـــو أعـــدل شـــاهد ... والخلـــقُ يشـــهد والعوائـــدُ والســـير

وغالبا ما يستحضر الشعراء الموريتانيون هذه الروح العربية الإسلامية في إنتاجهم الأدبي، يقول الشاعر ناجي محمد الأمام في قصيدته (**حوار على الرصيف**)، وقد تخيل أن فتاة سنغالية سمراء تحاوره[1]:

قالـــت أللضـــاد منســـوب؟ فقلـــت بلـــى ... عراقـــة الضـــاد فـــي أهلـــي مفتخـــر
قالـــت أأهلـــك فـــي "الخرطـــوم" دارهـــم ... أم "أم درمـــان" حيـــث النيـــل ينتظـــر
فقلـــت كـــلا أنـــا "شـــنقيط" دســـكرتي ... أرضـــي المضـــارب والصـــحراء والســـمر
أهلـــي "ربيعـــة" إن عـــدت فأولهـــا ... وإن تســـاموا إلـــى أخـــرى فهـــم "مضـــر"
أنجـــال "بلقـــيس" إن الســـد يعرفنـــا ... و"الربـــع" يعرفنـــا والبـــدو والحضـــر
جبـــال شـــنقيط مـــن "صـــنين" قيمتهـــا ... و"طـــور ســـينا" بـــه مـــن أرضـــنا حجـــر

1- الخليل النحوي/ مختارات من الشعر الموريتاني المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1979، ص 40.

وفي عروق "بني الجغبوب" من دمنا ... قسط وباقيه في حيفاء يستعر
في قبة الصخرة الشماء هندسة ... من (العتيق) إذا ما قيست الأطر
وفي "العقال" خيوط من (عمائمنا) ... وفي (اللحى) نسب قد زانه الشعر
والنوق في يثرب من نوق (تيرسنا) ... والأرض من أرضنا والشمس والقمر
وفي (نوادي جبيل) من قصائدنا ... مقاطع كلها الأحزاب والسور
قالت صدقت ومالت نحو مقعدها ... في ساحة ملؤها الأفراد والأسر
وجلجلت من وراء الدهر تهنئة ... من روح يعرب فالأنجال ما خفروا
عش يا هوانا الذي غذى عروبتنا ... واسلم هوانا الذي من فضله (الحور)

وبذا ترصد القصيدة التقاليد الإسلامية والعربية العريقة التي حافظ عليها الموريتانيون منذ عصور، كما ترصد روح الحنين الذائب الذي يسكن وجدان الموريتاني تجاه الأمة الإسلامية والعربية.

فيما يعتز الشاعر الموريتاني الشاب **جاخيتي الشيخ سك** بهوية موريتانيا العامة بوصفها دولة مسلمة عربية إفريقية، مترجما ذلك بوضوح في قصيدته (**معراج**)[1]:

أنا لغز هذا الكون يا عرافتي ... فلتشرحي للعالمين بروقي
فكّي الذي لم يستطيعوا فكه ... عن **سائس الأبقار.. حادي النّوق..**
وإذا اشتهى التاريخ كشف هويتي ... فأنا سليل **عروبة إفريقي**
فرحاب أحلامي فضاء تخيلي ... وبراق **معراج الرسول** رفيقي

والشاعر هنا يمزج برمزية شاعرية بين (**سائس الأبقار**) بوصفه رمزا للهوية والأصالة كما جسدتها المحكيات الشعبية والميثولوجيا الإفريقية، و(**حادي النوق**) باعتباره رمزا للحياة العربية

1- جاخيتي الشيخ سك/ الوجود المستعار، منشورات اتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين، ط1، 2008، ص 61-62.

الإسلامية الأصيلة، وينصهر الرمزان في حيز أعم يحيل إلى الهوية الإسلامية الجامعة التي تفصح عنها القصيدة منذ عتبة العنوان (معراج)، وتعود لتأكيدها في الختام (**براق معراج الرسول رفيقي**).

5. الخاتمة

لقد تم في هذا البحث إبراز جانب من العلاقات التاريخية والثقافية الوطيدة بين موريتانيا والسنغال، والتواصل المستمر بينهما في مجالات متنوعة منذ بدأت جيوش المرابطين (التي انطلقت من عمق موريتانيا) بقيادة الفاتح أبو بكر بن عامر (ت 468هـ أو 480هـ) تتجه جنوبا لبث الإسلام في المناطق الإفريقية. وهو ما عمق جذور التواصل العربي الإفريقي من بوابة الإسلام، وهو تواصل تعدّ العلاقات السينغالية الموريتانية أحد نماذجه المشرقة. وبما أن موضوع البحث يتصل بالأدب، والشعر خاصة، كان من الضروري أن نتوقف عند رصد جوانب من النصوص العربية التي أنتجها شعراء سنغاليون، فضلا عن التأثير السينغالي الكبير -على مستوى الثقافة والبيئة والرموز التاريخية- في الأدب الموريتاني، وهو ما تفصح عنه نصوص عربية متنوعة أوردنا نماذج منها في هذا البحث.

إنها إلمامة موجزة بجوانب من تأثر الأدب العربي الموريتاني بأدب إفريقيا السمراء (السينغال نموذجا)، أردناها أن تكون دراسة علمية موجزة، ودقيقة، وموثقة توثيقا علميا كاملاً، عسى أن تحفّز بعض الباحثين إلى تناول هذا الحيز الأدبي الواسع، والدفع به إلى مسارات نقدية أكثر غنى وخصوبة.

المصادر والمراجع

أ- المصادر

1. **البابطين، عبد العزيز سعود، وآخرون:**
   - معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ط1، 2008.
2. **بن حامد، المختار:**
   - حياة موريتانيا، الدار العربية للكتاب، طرابلس - تونس، 1990.

- المقامات، جمع وتحقيق:الحسين بن محنض، انواكشوط، د. ت.

3. بن الطلب، الشيخان:

- الديوان، جمع: محمد سعيد بن محمد عبد الرحيم، مؤسسة منير للنشر والتوزيع، انواكشوط – موريتانيا، 1985.

4. سك، جاخيتي الشيخ:

- الوجود المستعار، منشورات اتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين، ط1، 2008.

5. لي، بن عمر:

- ديوان الواحة، منشورات اتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين، ط1، 2010.

6. ولد الطالب، محمد:

- الليل والأرصفة، منشورات اتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين، ط1، 2007.

ب– المراجع:

1. بن السيد، عبد الله:

- المعارضة في الشعر الموريتاني: مدخل لدراسة الاحتذاء عند شعراء القرن الثالث عشر، المعهد التربوي الوطني، ط1، 1995.

2. بن محمد الحسن، أبو محمد:

- صبرا بني الشيخ، قصيدة منشورة بمجلة الأديب، الصادرة عن اتحاد الأدباء والكتاب الموريتانيين، السنة الأولى، العدد 3، ذي الحجة 1427هـ/ دجمبر 2006.

3. رومية، وهب:

- الشعر والناقد: من التشكيل إلى الرؤيا، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عالم المعرفة، العدد 331، سبتمبر 2006.

4. الشاذلي، بهيجة:

- من أعلام الثقافة الإسلامية بإفريقيا: محمد بلو نموذجا، مجلة المناهل، صادرة عن كتابة الدولة المكلفة بالثقافة، المملكة المغربية، العدد 56، السنة الثانية والعشرون، جمادى الأولى 1418هـ/ شتنبر 1997.

5. **الفيتوري، محمد:**

- البديل في الشعر العربي (حوار)، مجلة شؤون أدبية، اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، السنة السادسة، العدد 21، صيف 1992.

6. **مقلد، محمد يوسف:**

- شعراء موريتانيا القدماء والمحدثون، مكتبة الوحدة العربية، الدار البيضاء، ط1، 1962.

7. **النحوي، الخليل:**

- بلاد شنقيط: المنارة والرباط، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1987.
- اللغة العربية في إفريقيا، مجلة اللسان العربي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مكتبة تنسيق التعريب، الرباط، العدد 36، 1992.
- مختارات من الشعر الموريتاني المعاصر، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1979.

8. **واد، عبد الله:**

- حياة من أجل إفريقيا، حوارات مع جان مارك كالفليش وجيل دولافون، نقله من الفرنسية: محمد مخلوف، دار نشر ميشيل لافون، 2008.

9. **الودغيري، عبد العلي:**

- اللغة العربية والثقافة الإسلامية بالغرب الإفريقي وملامح من التأثير المغربي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، سلسة: بحوث ودراسات (51)، ط1، 2011.

10. **ولد عبدي، محمد:**

- السياق والأنساق في الثقافة الموريتانية (الشعر نموذجا)، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، ط1، 2009.

11. **ولد محمد المصطفى، ومحمد ولد عبد الحي:**

- مختارات من الشعر العربي في القرن العشرين، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، 2001، ج5، (مختارات شعرية موريتانية).